طائرة سيناء: «11 ايلول» روسية؟

عامر محسن

كانت «11 ايلول»، برمزيّتها وسياقها، مرآةً لمبدأين أساسيين في السياسة والثقافة. اوّلاً، هناك المعادلة التي تميّز بين أثمان البشر وتسعّر «قيمة حياتهم» حول العالم؛ ففي كوكبٍ تطحن فيه الحروب شعوباً بأكملها، ويأخذ سياسيون في العواصم «الكبرى»، بشكل روتيني، قرارات تدمّر حياة الملايين، على التاريخ أن يتوقّف ويعدّل سيره لأن غربيين بيضاً قد أُصيبوا بأذى. عليك أن تعرف أسماءهم ـ كأفراد ـ وتشعر بألَمِهم، وأن تشاركهم فجيعتهم. هذه السردية الاعلامية التي بنيت حول مأساة نيويورك وضحاياها، لا يُمكن أن تُفهم الّا مترافقةً مع خطاب جورج بوش الى الأمّة اثر الهجوم، الذي أعلن فيه الحرب. كان بوش يقول، بوضوح، لشعبه وللعالم: «ايّاكم أن تعتقدوا أننا من الشعوب التي يموت المئات منها في «حادثة مؤسفة» ويمرّ الأمر هكذا. سوف نمطر وبالاً يفوق عنف الهجوم آلاف المرات، ولو على الهدف الخطأ، فهناك ثمنٌ يجب أن يُدفع».

انت، اذاً، ستعرف بضحايا نيويورك وسيحكي الإعلام قصّتهم لأنهم ينتمون الى قلب الرأسمالية العالمية، ونخبها ومصالحها ومستهلكيها، وليس بالإمكان تجاهلهم (فيما من المحتمل أن تختفي قرية من 4 آلاف انسان في ليبيريا بلا أن يشعر العالم بذلك)، وستتكرّس هذه المعادلة ـ بالمعنى المادي ـ عبر العنف الفائق الذي يسلّطه جورج بوش، أو «الثمن» الذي يفرضه مقابل دماء الأميركيين (الاسرائيليون فهموا العالم، منذ مرحلة مبكرة، على هذا المنوال ايضاً، وكان الإصرار الدائم من قادة عسكريين كبار أن تكلّف كلّ غارة عربية، أو عملية عسكرية، ثمناً بالدّم يفوق أذاها بأضعاف، كيفما كان ولو من دون عائدٍ عسكري، في ارساء لمعادلة مشابهة).

المبدأ الثاني الذي تبلور على مسرح «11 ايلول» كان امكانية استخراج أي نتيجة سياسية من فعلٍ (الاستهداف المقصود للمدنيين في 11 ايلول) تتمّ أسطرته وتحويله الى «استثناء» ووضعه خارج السياق الطبيعي للتاريخ. في المبدأ، وحتى بالمقاييس الامبريالية، فإنّ أقصى ما كان يحقّ للرئيس الأميركي المكلوم المطالبة به هو الإقتصاص، تحديداً وحصراً، من الأفراد المسؤولين عن هذا الفعل، وخططوا له وأمروا به. ولكنّ جورج بوش استخدم «11 ايلول» لكي يفرض، على العالم أجمع، قوانين جديدة للمرحلة، لم تتوقف عند اعطائه «اذناً» باجتياح دولٍ لا علاقة لها بملف 11 ايلول أو «القاعدة»، بل أشعرت الجميع أنهم في دائرة الانتقام المحتملة («امّا معنا أو ضدّنا»).

مع تزايد الأدلّة والتصريحات التي ترجّح أن سقوط الطائرة الروسية فوق سيناء لم يكن حادثاً عرضياً، بل عملاً مدبّراً تقف خلفه «داعش»، ستكون المواجهة مع روسيا قد ذهبت الى مجالٍ جديد، وصارت موسكو تحت ضغطٍ ـ يشابه لحظة 11 ايلول ـ لإثبات «قيمة» حياة مواطنيها وسلامتهم. منذ البداية، حامت الشكوك حول سقوط الطائرة الروسية، وقد قال بعض الخبراء إن صوراً أولية للحطام أظهرت اثار حرقٍ على الهيكل، وهو ما يحدثه انفجارٌ لا عطل. تراوحت النظريات بين احتمال الصاروخ (وهو ضعيف بالنظر الى ارتفاع الطائرة، الذي يحتاج الى أنظمةٍ معقدة ورادار لتغطيته؛ والصواريخ المحمولة على الكتف لا يمكن أن تطال الطائرات المدنية الا في مراحل اقلاعها أو هبوطها) واحتمال أن يكون قد زُرع على متن الطائرة عبوة أو انتحاري.

هناك صورٌ جديدة للحطام تُظهر خروقاً، تشبه آثار الشظايا، على الهيكل الداخلي للطائرة، ما يعزز نظرية التفجير. وهو ما ترافق مع سيلٍ من التسريبات في وكالات الأنباء والصحف العالمية تقول بأن الطائرة أسقطها عملٌ ارهابي. هذا يعزّز من التّحدّي بالنسبة الى روسيا. فأغلب المصادر التي تزود الصحف العالمية بهذه التسريبات، تقول «نيويورك تايمز»، هي من الاستخبارات الغربية، في ما يشبه التشفّي بالقتلى الروس المدنيين، واشارة الى روسيا بأن خسائرها في سوريا قد ابتدأت (أو، كما نقلت الصحيفة الأميركية، «أهلاً بكم في الشرق الأوسط»). يُفهم ايضاً من هذه «الرسالة» أنّ السكوت على هكذا عمل أو تركه يمرّ بيسر، وهنا بيت القصيد، قد يعني ان يتكرّر في المستقبل.

يبقى موضوع «صمت بوتين»، كأن الرئيس الروسي ينتظر التيقّن من سبب الكارثة قبل اتخاذ موقفٍ رسمي منها. لم تدلِ الحكومة الروسية بتصريحات وافية حول الحادثة، عدا اعلان الحداد؛ واكتفى الرئيس في أوّل ظهورٍ له، بعد أيام من الواقعة، بتصريحٍ مقتضب يعزّي بضحايا الطائرة ويطالب بتكوين «صورة موضوعيةٍ» عن ما جرى. هذا ما دعا صحيفة «موسكو تايمز» الى اختيار عنوانٍ يقول «الروس يسألون: اين بوتين؟». وفي تفسير هذا الصمت، يقول أحد الخبراء للصحيفة انّ الرئيس الروسي يفضّل التعامل مع الكوارث الطبيعية والحوادث بشكلٍ هادىء وعدم تحويلها الى قضايا سياسية. ولكنّ اشاعات ـ من الصعب التأكد من صحّتها ـ تقول بأن الصمت سيتلوه موقفٌ عاصف، وأن الرئيس الروسي سيلقي قريباً خطاباً حادّاً، يؤكد فيه أن الطائرة كانت ضحية عملٍ ارهابي، ويُعلن عن ردٍّ عنيف واجراءات تتجاوز «داعش» نفسها. فهل تكون طائرة سيناء «11 ايلول» روسيا؟

على الغلاف

موسم الهجرة من عيـ

لم تكن المعركة الأخيرة بين حركة فتح والقوى المتشددة في عين الحلوة سوى فاتحة لازدياد حركة النزوح من المخيم ومخيمات لبنان إلى أوروبا، عبر طرق جديدة، أبرزها إلى روسيا ثم النرويج. الفلسطينيون يخشون تجدّد الحرب ومساعدات الاونروا تتلاشى والواقع اللبناني يتفاقم. هل يبقى عين الحلوة رمزاً للشتات الفلسطيني؟

فراس الشوفي

«الطَّبُّونيه» في سيارة المرسيدس «اللَّف» ذات اللوحة الحمراء، تحتاج إلى جهد كي تفتح. فالعمر بائنٌ على السيارة أكثر من الشيخوخة التي أنهكت السائق، وجندي الجيش اللبناني على حاجز «الحسبة» عند المدخل الشمالي لمخيم عين الحلوة، يستخدم قوة زنديه، والسائق الكهل ينتظر قربه بخجل. «الحمد لله... الحمد لله» يكرّرها الجندي والفلسطيني المُتعب، وينصرف كلاهما لمتابعة يوم، لم يرد فيه اسم عين الحلوة في وسائل الإعلام... ربما. الساعة تشير إلى الواحدة والنصف بعد الظهر، ورذاذ المطر الخفيف يكاد يملأ الحفر التي تغطي الشوارع عوضاً عن الاسفلت. الرجال والنساء في حي صفورية يلتزمون السير على ضفاف الأزقة وأشباه الشوارع، خشية الماء القذر المتطاير من مرور الدراجات النارية المسرعة، والأولاد لا يكترثون لكل هذه الطقوس. بعد المطر، تجد بلدة صفورية مرسومة على حيطان بيوت الحي المتلاصقة العشوائية بطلاءٍ برّاق، بيوتاً وأشجاراً وذكريات حملها الخارجون إلى الشتات في تغريبة 1948 وقيام دولة إسرائيل، من قضاء الناصرة الفلسطيني، إلى جنوب لبنان. «التمشاية» الأولى مع عاهد ابن صفورية (اسم مستعار ـ أحد المقرّبين من القيادي في حركة فتح العقيد محمود عيسى الملقّب باللينو)، وإلقاء السلام على شابين قرب مسجد الصحابي خالد بن الوليد يبدو مدخلاً على حديثهما، عن الرحيل إلى بلاد الله الباردة، النرويج والسويد والدنمارك وألمانيا، في قوافل الشتات الجديد.

ـ «شو مَالْكُم؟، بعد ما رحتوش، ما كل المخيم بيمشي»، يقول عاهد.

ـ «يلّا قَرَّبت، كُنا ماشيين مبارح بس ما ضل محَل، مستعجل علينا؟!»، يرد أحد الشابين.

ـ لا، بس بسأل، دخلكوا إنتو رايحين عن طريق سوريا أو البحر؟

ـ لا هَيْ ولا هَيْ، عن طريق روسيا.

«سمعت؟! ما قلتلك المخيم فضي» يُسائل عاهد ضيفه، ويودّعان الشابين ويكملان المسير.

يشعل محمد سيجارة «سيدرز»، قبل أن يبدأ السيرة الذاتية المختصرة. ابن صفورية، وقاطن حي عمقا، يقضي وقته بين «نوبة الحرس» و«الإنترنت»، «بحب فلسطين وكنت بديش هاجر، بس شو بدي ضل أعمل هون، ما تركولناش خرم إبرة نتنفس منه. يا أخي بدي أروح وأجي على كيفي، أنا أصلاً بطلت إنزل على الروشة». هي المرة الثالثة التي يخفق فيها المراهق بالهرب، مرة عبر مرفأ طرابلس، ومرة عند المصنع السوري ـ اللبناني، ومرّة لأن «النقلة» اكتملت، ولم يعد له مكان. أكثر من 30 شاباً فلسطينياً يخرجون يومياً من مخيّم عين الحلوة، إلى... غير رجعة. يستيقظ أحدهم ليكتشف أن صديقه الصدوق رحل سرّاً من دون أن يبلغه، «بَلْقَطُه على واتس أب بعد كم يوم»، يضحك محمد. «يهربون» هو أقرب وصف، من الفقر والبطالة وانعدام الأمل والنظرة الأمنية تجاه الفلسطيني ورصاص الصدفة، ومن بيوت الزينكو والأحلام التي تولد وتموت على زوايا الأزقة. فموجة اللجوء السوري الأخيرة إلى أوروبا، التي يضجّ بها العالم، لا تطال السوريين وحدهم، إنها تقضم عين الحلوة ومخيّمات الفلسطينيين

نقل الفلسطينيون السوريون روح مخيم اليرموك إلى عين الحلوة (هيثم الموسوي)

تقرير

انتخابات محامي طرابلس: هزيـ

عبد الكافي الصمد

أكثر من مفاجأة خرجت بها الانتخابات الفرعية في نقابة محامي طرابلس، وكشفت ملامح خريطة قوى جديدة داخل «أمّ النقابات» الشمالية ستترك معالمها وتأثيرها في أي انتخابات مقبلة.

أبرز نتائج الانتخابات أمس لانتخاب عضوين (مسلم ومسيحي) لمجلس النقابة، كانت الهزيمة المدوّية التي نزلت بتيار المستقبل، بسبب الخلافات الداخلية التي عصفت به، وظهرت بوضوح في وجود أكثر من «طبّاخ» مستقبلي للانتخابات، ما أدى الى احتراق «الطبخة».

فقد كشفت مصادر متابعة لـ«الأخبار» أن خلافاً نشب بين وزير العدل أشرف ريفي والنائب سمير الجسر ونقيب المحامين فهد المقدم، لحسابات سياسية وخاصة، حول إدارة الانتخابات واختيار المرشحين، لم تُجدِ معه نفعاً الوساطات التي جرت لاحتوائه، رغم حضور مسؤولي قطاع النقابات في المستقبل من بيروت لمعالجة المشكلة. وأوضحت أن «ما فاقم الأمور سوءاً كان أداء النقيب المقدم ومجلس النقابة الذي يهيمن عليه التيار، إضافة إلى تداعيات التشكيلات التي قام بها ريفي في قصر عدل طرابلس، وأثارت تحفّظ كثيرين واستياءهم».

بنتيجة الانتخابات يتبيّن أن هيمنة تيار المستقبل على مجلس النقابة باتت من الماضي، بعد فوز عبد السلام الخير (406 أصوات) المدعوم من فريق 8 آذار على محمد